

طريق التائبين إلى ربهم



«إنَّ هناك عوائق تعترض طريق العائدين إلى ربهم، يفتعلها الشيطان الرجيم ليؤخر توبة العبد حتى تصبح صغائره كبائر، وهذه هي مهمته الأصلية في إضلال الناس، من هذه العوائق:

1- التسويف: وهو تأخير التوبة ببعض الأعذار منها: يتوهم من أنَّهُ لا زال في أوَّل شبابه، عليه أن يتمتع بدنياه، إلى غير ذلك قال أمير المؤمنين: «ويرجى التوبة بطول الأمل».

2- الإدمان على الذنب: من شدة ذنوبه وكثرتها لا يمكنه الإقلاع عنها، ويعتقد أنَّهُ لا يمكن أن يتوب إلا عليه لكثرة ما اقترف من المعاصي: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...) (النساء / 48).

3- اليأس من رحمة الله: لا يتصور أن الله غفور رحيم وأنَّه تواب على التائبين، (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...) (الزمر / 53).

4- يخاف من هجران أصدقائه له إذا تاب لأنَّهم لا زالوا على ما هم عليه من المعصية.

5- يخاف أن لا يستطيع المواصلة على التوبة لضعف نفسه، وهو يقول لقد تبت الا أنني عدت من جديد إلى ما أنا عليه، فهو متردد في التوبة.

6- يخاف أن يقال عنه رجعي متخلف إذا ما نهج نهج الصالحين، وتلك موضة العصر القاتلة وهي أن يُذم من يعبد ربه الذي خلقه والتزم أوامره.

7- يخشى كلام الناس عنه أمثال قولهم: متخلف لا يواكب عصر الفضاء والذرة، رجعي، متخلف، إلى غير ذلك من النعوت.

8- يقول إنَّ الإنسان بإمكانه هدايتي ولو شاء لهداني ولا يبادر إلى التوبة، وكأنَّ الإنسان يكره عباده على طاعته، ويغفل هذا إنَّ الإنسان يريد من عباده أن يكونوا مختارين في عيادته حتى يميز الخبيث من الطيب.

9- تصور له نفسه أنَّه قد بلغ القمة في العبادة وينسى أنَّ الإنسان خطاء، ويعجب من عمله وتلك آفة كبرى أن يرى الإنسان عمله قوياً ومثمراً، ولا ينظر إلى علم الإنسان وميزانه الذي يزن به الأعمال، فليس العمل بالكثرة، وإنَّ يقول: (تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا) (النور/ 31)، (وَلَوْ يُوَاسِئُوكُم بِمَا كَسَبْتُمْ مِمَّا تَرَكْتُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ دَابَّةٌ) (فاطر/ 45).

10- الغرور والاتكال على سعة رحمة الله: ويدعي إنَّ الإنسان يطلب صلاح القلب، وإنَّ محمداً سيشفع لنا غداً، وكأنَّ ما وصل إلينا من نبيِّه بالحث على الطاعات والعبادات أمر قد فرغنا منه، وإنَّ لدينا الآن برامج جديدة للعبادة، وأنَّ تلك العبادات موروثة علينا الغاؤه.

11- طبيعة العمل: قد يمنع العبد من التوبة العمل الذي يعمل به فقد يكون عمله حراماً كمن يبيع الميتة ويتاجر بالخمور، أو يرتشي، فتوبته في هذه اللحظة أن يترك العمل فلذلك لا يبادر إلى التوبة لأنَّه يرى نفسه لا تطاوعه في ترك عمله ومكسبه، وإذا ما تركه فمن أين سيعيش، وينسى فغفلة مريعة أن هذا المال لا خير فيه وهو مال سحت. ►